الفكر التربوي والتعليمي لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

The Educational and Pedagogical Thought of the Association of Algerian Muslim Ulama

مهدي فاطمة

جامعة غليزان (الجزائر)، **fatima.mehdi@univ-relizane.dz**

تاريخ الارسال06-09-2024 تاريخ القبول18-11-2024 تاريخ النشر31-12-2024

ملخص:

تتطرق هذه الدراسة إلى الفكر التربوي والتعليمي لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال مساعيها لإصلاحية وإسهاماتها في الدفاع عن مقوّمات الشعب الجزائري وبعث روح العلم ومحاربة الجهل وكل ما من شأنه أن يمس بالهوية الوطنية الجزائرية ومقوّماتها دينا ولغة. فعلماء الجمعية لم يعتمدوا لغة السلاح لمواجهة العدوّ المستعمر، إنّما كان زادهم وعدّتهم في ذلك لغة الفكر والثقافة ليؤسّسوا أرضية صلبة تكون منطلقا للأمّة الجزائرية؛ ولعلّ ماطرحوه من أساليب متنوعة في التربية والتعليم خير دليل على إيمانهم القوي بأنّ الحفاظ على الوطن والأمة لا يتحقّق إلا بترسيخ المقوّمات الثلاثة تحت شعار: الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا.

الكلمات المتاحية: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الفكر، التربية، التعليم.

Abstract: This study addresses the educational and pedagogical thought of the Association of Algerian Muslim Ulama through its reformist efforts and contributions in defending the fundamental elements of the Algerian people, promoting the spirit of knowledge, and combating ignorance, as well as anything that could harm the national identity and its components of religion and language. The scholars of the association did not resort to armed resistance to confront the colonial enemy; instead, their weapon was the language of thought and culture. They sought to establish a solid foundation that would serve as a starting point for the Algerian nation. The various methods they proposed in education and pedagogy are a testament to their strong belief that preserving the homeland and the nation can only be achieved by reinforcing the three pillars under the motto: "Islam is our religion, Arabic is our language, and Algeria is our homeland.

Keywords: the Association of Algerian Muslim Ulama, Thought, Education, Teaching.

المقال :

1. مقدمة: عرفت الجزائر أصعب أنواع الاحتلال على مدار قرن وربع قرن من الزمن بداية من سنة 1830 أين دخل فيها الجيش الفرنسي إلى الأراضي الجزائرية إلى غاية 1962 حين خرجت الجيوش الفرنسية

تجرّ أذيال الهزيمة من قبل شعب لا يعرف الذّلّ ولا الهوان، شعب عرف بكفاحه ونضاله وتفانيه في تقديم النفس والنفيس من أجل تحرير وطنه.

لم تكن فترة الاستعمار فترة هيّنة فقد تكبّدت الجزائر جرّاءه خسائر ماديّة ومعنويّة ظلّت آثارها إلى فترة ما بعد الاستقلال، لولا تضافر الجهود من أجل دفع عجلة التقدّم والقضاء على مخلّفات المستعمر الذي حاول بكل ما أتيح له من سبل طمس معالم الهويّة الجزائرية دينا ولغة وثقافة وفكرا، حيث قامت السلطات الفرنسية بتضييق نشاط الزوايا والمدارس القرآنية باعتبارهما اللّبنة الأولى للدّراسات الإسلامية والسبيل الأمثل للتعليم، فهدمت الكثير من المدارس وحوّلت البعض منها إلى مخازن وذكاكين كما قامت باستغلالها ومنحها لجمعيات فرنسية لتمارس فيها نشاطاتها [1]. ولم تكتف بهذا فحسب بل سعت إلى تطبيق سياسة التجهيل التي دعت من خلالها إلى منع التعليم باللغة العربية ومنع تعليم مبادئ الدّين الإسلامي ونشر الأمية في أوساط الجزائريين وذلك من أجل القضاء على خصائص هويّتهم الوطنية والحضارية[2] . وفي مقابل هذا دعت السلطات الفرنسية إلى ضرورة التعليم باللغة الفرنسية في أيّ طور من أطوار التعليم بهدف تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع فرنسي فكرا ولغة وثقافة، ولعلّ القانون الذي أصدرته فرنسا سنة 1938 القاضي باعتبار اللغة العربيّة لغة أجنبيّة في الجزائر، لعله خير دليل على السياسة الفكرية الخبيثة التي سعت فرنسا إلى تحقيقها في الجزائر.

لقد عمل الاستعمار الفرنسي كل ما في وسعه لتطبيق هذه السياسة التي كادت تطمس هوية هذه الأمّة لولا ظهور حركات سياسية وفكرية وجمعيات دينية وثقافية حاولت تنوير الشعب الجزائري والقضاء على شبح الجهل الذي بات يخيّم عليه آنذاك. وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إحدى هذه الجمعيات والحركات التي واجهت الاستعمار الفرنسي فكريا وثقافيا وكان لها الفضل الكبير في بعث روح العلم والعودة إلى أصالة الدّين الإسلامي للشعب الجزائري.

ولقد ارتكز عملنا في هذه الدراسة على الإجابة عن التساؤل الآتي وهو: ما طبيعة المنهج التربوي والتعليمي الذي اتّبعه أعضاء جمعية العلماء المسلمين لإنقاذ الشعب الجزائري من مستنقع الجهل والأمية؟ وما مدى تأثيره على السياسة الاستعمارية في الجزائر؟

وبناء عليه تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال التربية والتعليم وتوضيح أساليبهم في ذلك التي تنوّعت بين إنشاء المدارس والزوايا، وتخصيص حصص للنساء و الأطفال حتّى لا يستثنى أي فرد في المجتمع، فالكل معنيّ بمواجهة الاستعمار الفرنسي، بالإضافة إلى اعتماد التأليف من أجل التعريف بتاريخ الجزائر العريق الذي حاول العدوّ طمس معالمه بشتّى الطّرق والأساليب.

2. التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

1.2. إرهاصات التأسيس:

تأسّست جمعية المسلمين الجزائريين في مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر، مرحلة انتقل فيها الشعب الجزائري من وضع اجتماعي كاد يقضي على شخصيته التاريخية وهويته الحضارية إلى وضع فكري وديني شكّل له الأرضية الصّلبة في إعادة تكوين شخصيته وإثبات هويّته الدّينية والثقافية، فكانت الغاية من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي حماية الشعب الجزائري من الفكر الغربي للاستعمار الفرنسي وإعادة بناء شخصيته بالرجوع إلى دينه وثقافته ولغته م أجل الحفاظ على وطنه.

وقد ذكر المؤرخون لتاريخ الجزائر أن الإرهاصات الأولى لتأسيس جمعية العلماء المسلمين كانت في البقاع المقدّسة، في موسم الحج من سنة 1913م ، أين اجتمع قطباها الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي من أجل البحث في أوضاع وطنهم وما آلت إليه حال الشعب الجزائري في مختلف الميادين وبخاصة الثقافية والدّينية، فكان أوّل ما اتفقا عليه هو الدّعوة إلى القيام بنهضة شاملة تؤسّس لبنية فكرية وثقافية، ولا وسيلة إلى ذلك إلا نشر العلم ورفع الجهل وفي هذا قال الشيخ البشير الإبراهيمي: " وكنا نجتمع في أغلب الليالي اجتماعا خاصا لا نتحدّث فيه إلا عن القطر الذي يجمعنا وهو الجزائر والبلد الذي يضمنا وهو قسنطينة، والآمال التي تملأ نفوسنا في ترقيته وإعداده للتحرير، فكن نجمع أنّه لا وسيلة لذلك إلا العلم تنشر أعلامه والجهل ينقشع ظلامه ثمّ تصوّر الخواطر لي وله مدارس تشاد للنشء، وألسنة تتفتّق على العربية وأقلاما تتشقّق على الكتابة." [3] وعليه فإنّ السبيل الوحيد للنّهوض بهذا البلد وإنقاذه من قبضة المستعمر الفرنسي هو إيقاظ همم الشعب الجزائري وتعليمه وتثقيفه وإعادته لتعاليم الدّين الصحيحة بعيدا عمّا زرعه المستعمر من خرافات وأباطيل، ولا يتحقّق هذا كله إلا بإنشاء المدارس والمساجد والنوادي الثقافية.

بعد كل هذه الاجتماعات التي تمّت بين الشيخين في البقاع المقدّسة قرر الإمام عبد الحميد بن باديس العودة إلى الوطن عازما على تحقيق فكرته في الإصلاح، ثم لحقه الشيخ البشير الإبراهيمي ليكون له عونا ومددا في مشروعه وذلك بالتشاور واتخاذ القرارات في شتّى المسائل التي تخص نهضة الوطن؛ فكانت الخطب والمحاضرات التي ألقاها الشيخان بمثابة الانطلاقة لمسيرة الإصلاح لينظم إليهما فيما بعد كثير من العلماء والمصلحين، إذ بات من الضروري لمّ الشمل وتوحيد الفكر من أجل تنوير عقول الجزائريين والمضي بهم قدما إلى تحرير وطنهم فتكاثفت جهود هؤلاء في وضع برنامج ثقافي وفكري وتربوي استعانوا في تطبيقه بشتى الوسائل من مساجد ومدارس ونواد ثقافية وصحافة، وبناء عليه رأى الشيخ ابن باديس أنّه لا بدّ من تأسيس جمعية تجمع هذه العقول وتثمن جهودها باسم الإخاء العلمي فعرض فكرته على الشيخ البشير الإبراهيمي في زيارة له لمدينة سطيف سنة 1924 [4]، وظلّ الأمر على هذا الحال والشيخان يبذلان كل جهودهما

وكل من ساندهما من علماء وطلاب وبدأت أرضية فكرة الإصلاح تتوطّد وتواصلت الدّروس والخطب لتوعية الشعب الجزائري وترغيبه في العلم.

2.2 مرحلة التأسيس: تضافرت ظروف عديدة وعوامل كثيرة ساهمت في ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولعلّ أبرزها الاحتفال الذي دعت إليه السلطات الفرنسية بمناسبة مرور قرن كامل على احتلال الجزائر حيث نظم الفرنسيون تظاهرات ضخمة أظهروا من خلالها حقدهم الصليبي الدّفين وخاصة عندما خطب أحد القادة الفرنسيين قائلا: " ليس الدّاعي الأكبر لمثل هذه المهرجانات هو الاحتفال بمرور مائة عام على احتلالنا للجزائر فهذا أمر بسيط، وله عواقب معروفة.....ولكن الباعث الأعظم على هذا، هو أننا لتمشوا معنا في جنازة الإسلام في الجزائر." [5]

كانت هذه الكلمة بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس وأيقظت الشعب الجزائري من غفلته وشحذت همم العلماء للنّظر بجديّة فيما آل إليه الوضع الثقافي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للشعب الجزائري وذلك بالعزم على إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " ففي عام 1931 أسس الأستاذ المدني مع صديقه الشيخ عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء الجزائريين"[6]، وكان تأسيسها إثر دعوة وجّهت إلى علماء الجزائر لحضور الاجتماع التأسيسي بنادي الترقي شارك فيه أكثر من سبعين عالما من مختلف جهات الوطن على اختلاف مذاهبهم لينتخبوا مجلسا إداريا للجمعية يتكوّن من ثلاثة عشر عضوا برئاسة الشيخ ابن باديس الذي لم يحضر إلا في اليوم الأخير للاجتماع وباستدعاء خاص ومؤكد، فكان انتخابه غيابيا[7].

وعلى إثر ذلك كله بدأت نشاطات الجمعية بصفة رسمية على جميع المستويات، إلا أن تركيز أعضائها كان موجها إلى الجانب التعليمي والتربوي كما قررته مبادئ الشريعة الإسلامية وثوابت الأمّة الجزائرية التي لخصها أولئك العلماء في شعار: الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا. وهكذا استطاع الشيخ عبد الحميد ابن باديس تحقيق فكرته التي راودته منذ 1913م في البقاع المقدسة.

3 . مساعي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجالي التربية والتعليم:

أدرك علماء الجمعية خطر الاستعمار الفرنسي على الشخصية الوطنية الجزائرية، وتحقق لديهم بأن لا مناص من تخليص الشعب الجزائري من قبضة الاستعمار إلا بعد تشخيص موضع الداء فيه، فكان الشعب الجزائري كالجسد الذي تسلط عليه ورم خبيث الذي لا بدّ من استئصاله ولن يتمّ ذلك إلا بعد معرفة حجم الضرر والآلام التي انجرت عليه، وهو ما قام به علماء الجمعية، إذ استطاعوا أن يشخصوا داء الأمّة الجزائرية ومعرفة الطرق والوسائل الكفيلة باستئصال الغبن الذي ظل يمارسه ويفرضه المستدمر الغاشم على الشعب الجزائري طيلة عقود من الزمن.

إنّ الأداة أو الوسيلة التي اتخذها علماء الجمعية في مجابهة الاستعمار بكل أشكاله تجلّت في تعليم الشعب الجزائري تعليما موازيا للتعليم الفرنسي المفروض، فكان لزاما ان يجتهد علماء الجمعية في بعث حركة التعليم العربي الإسلامي

المؤسّس على ثوابت الأمة، وكان ذلك مشروعا تربويا وتعليميا ونهضويا أيضا استطاع به علماء الجمعية أن يحدثوا خلخلة كبيرة في السياسة التعليمية الاستعمارية الرّامية إلى طمس كل ما هو عربي وإسلامي وجزائري أصيل، ممّا حرّك الإدارة الفرنسية للوقوف أمام الحركة التعليمية التي بثّها علماء الجمعية في أوساط الشباب والشيوخ وكذا النساء والولدان، وتسخير كل القوى من أجل التضييق على رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قصد تعطيل مشروعهم النهضوي.

إنّ جهود علماء الجمعية ف جال التربية والتعليم عظيمة جدا وقد عمل أعضاؤها على تجسيد هذا المشروع العلمي والحضاري فعليّا بافتتاح مدارس خاصة أو حرة موازية للمدرسة الفرنسية لأنّ الغاية كانت نبيلة جدّا " هي الوصول بالشعب إلى المستوى الرفيع الذي يحطم ويلات الحاضر الأليم ويقيم أسس الجزائر المقبلة الواعية العاملة الهادفة." [8] ولعل العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله هو الأول والأكثر إسهاما في تحقيق هذا المشروع العلمي والحضاري الذي كان يراد له أن يثمر جيلا متعلما قادرا على مجابهة الاستعمار بكل أشكاله؛ يقول أحمد توفيق المدني رحمه الله في سياق بيانه جهود العلامة ابن باديس في التدريس والتربية والتعليم ما هذا نصه: " وانتصب الرجل العظيم مدرّسا، واتخذ من مسجد سيدي قموش قسنطينة معقلا له، وأخذ الطلبة يتوافدون عليه من كل حدب، فغصّت الرحاب وضاقت حلق الدّرس، وما ازداد خبره انتشارا إلا ازداد عدد الطلبة حوله ، ذلك المعقل النوراني العظيم، إلى أن أصبح ذلك المعهد الصغير يضمّ ما يزيد عن الألف من الطلبة. وكان يلقي عليهم من بعد صلاة الفجر إلى بعد صلاة العشاء كل يوم ما عدا الجمعة، سبعة دروس تتناول مختلف علوم الإسلام." [9] فظاهر من هذا القول الطريقة والمنهج الذي كان يسير عليه ابن باديس خاصة في تربية النشء وأعضاء جمعية العلماء المسلمين عامة، في مدينة قسنطينة وخارجها، لأن المدارس التي أنشأها ابن باديس رحمه الله لم تقتصر على مدينته قسنطينة بل توزعت على الجزائر، ووهران، وتلمسان، ومع مرور الوقت ازداد انتشارها ليشمل معظم القطر الجزائري كي يتمكن الشعب كله من التعليم العربي والإسلامي الذي غيّبه الاستعمار الغاشم. وعليه تميزت طريقة التعليم والتربية وترسيخ أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة ومبادئ علوم العربية الفصيحة، بكيفية فريدة، فكانت – كما هو مبيّن من كلام المدني — دروسا مكثفة جدّا ومتنوّعة لتستغرق اليوم كله ولتشمل مختلف العلوم الشرعية واللغوية.

إنّ التفسير الذي ألفه الشيخ ابن باديس رحمه الله كان يرمي منه إلى تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الطلبة، والأمر نفسه ينطبق على ما كان ينتقي من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم [10] . وليس تثبيت العقيدة فحسب، بل دحض الأباطيل والخرافات التي كانت فرنسا تبثها في أوساط المجتمع الجزائري عبر الطرق الصوفية قصد تثبيط الشعب الجزائري عن هدفه الأسمى وعن دينه ولغته.

فضلا عن ذلك كانت دروس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عموما وما كان يلقيه الإمام عبد الحميد بن باديس خصوصا يقصد منها غرس روح النضال والمقاومة للاستعمار الفرنسي ولأذنابه المرتزقة وهو ما كان بالفعل مجسدا في اندلا ع الثورة التحريرية المباركة سنة 1954م.

مثلما كان حرص علماء الجمعية على تعريف الشعب الجزائري بعقيدته وأصالته الدّينية التي تجلت في الدّروس المسجدية في صورة تفسير للقرآن الكريم، وشرح لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كان بمقابل ذلك وبالحدّة نفسها حرص على تعريف الشعب الجزائري بتاريخه المجيد، هذا التاريخ الذي كان كله مقاومة وصلابة لم تعرفها أمّة من الأمم السالفة في مواجهة الخصوم مهما كانت قوّتهم وجبروتهم.بناء على ذلك استثمر علماء الجمعية التاريخ الجزائري، وقدّموه في قالب تعريفي الغرض منه التأسي بالأسلاف في محاربة المحتل وحشد الهمم في إعادة بعث الروح النضالية لفك قيد الاستعمار.

تعدّ دروس التاريخ الجزائري قبل الفتح الإسلامي وبعده منارا استضاء علماء الجمعية في التربية والتكوين، إذ معرفة الحاضر والتطلع إلى مستقبل زاهر يستوجب معرفة حقه بالماضي. لأن الجزائر أمة متحضرة، وما الاستعمار إلا عارض طرأ عليها ولا يزول هذا العارض إلا إذا اجتهد في طلب الماضي والتاريخ عموما، وهذا ما كان يراه علماء الجمعية باعتبار التاريخ الوطني والقومي، هو الموجه المباشر للشعب نحو هويّته ومكتسباته. وعلى هذا الأساس المتين من متانة العقيدة الإسلامية، اتخذ علماء الجمعية التاريخ منهاجا ثوريا يقوي النفوس، ويبعث ما نام من العزائم، متخذين من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا يحتذى في القوّة والشجاعة والبأس ونصرة الحق ومحاربة الباطل والثبات على المبدإ والصبر على الأذى.[11]

إنّ خطوة بناء المدارس الحرة تعد خطوة جريئة في مواجهة الإدارة الاستعمارية، وهو الأمر الذي جعلها تعدّ لذلك العدّة لأجل كبح التقدّم الذي حققته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ميدان التربية والتعليم لأنّ أخوف ما يخافه الاستعمار هو أن يستردّ الشعب الجزائري هويته الإسلامية وروحه النضالية التي يدركهما المستعمر الفرنسي غاية الإدراك في قوّتهما وخطرهما عليه. لقد كانت المدارس الحرة التي بنتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نورا وضاء في مختلف جهات القطر الجزائري، وكانت تزداد قوة وانتشارا كلما ازداد عدد المتخرجين منها، سواء منهم من أخذ التكوين والعلم على يد الشيخ ابن باديس رحمه الله أم من أخذهما عن غيره من علماء الجمعية.[12]

ومن بين الأساليب والطرائق التربوية والتعليمية التي سنتها جمعية العلماء في تنوير وتعليم أبناء الجزائر بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الكتابة وقوانين اللغة العربية، أسلوب وضع المختصرات العلمية التي تجمع أصول العلوم كي يتسنى للمتعلم حفظ أصول العلوم عموما شرعيّها ولغويّها. بالإضافة إلى التأليف المطول الذي كان يعكف على طبعه علماء الجمعية خاصة في الجانب التاريخي ن ولنا في ذلك نماذج شاهدة على نشاط حركة التأليف لدى علماء الجمعية.

وسواء أكانت التآليف مختصرة موجهة لفئة معينة من أبناء الجزائر أم كانت كتبا ودواوين مطولة، فإنها كلها تنطلق من مبدإ واحد أصيل وتنشد هدفا واحدا نبيلا. إنها تآليف تتفق في القاعدة التي هي: الإسلام والعروبة والجزائر وتسعى إلى هدف واحد هو طرد الاستعمار الفرنسي والقضاء على الجهل والأمية.

إنّ من أهم النماذج التي تنتمي إلى الصنف الأول ما ألفه الشيخ ابن باديس في ميادين مختلفة من علوم الشريعة على غرار رسالته في علم الحديث[13]، ومبادئ أصول الفقه،[14] وكتاب آيات الأحكام المتعلق بفقه العبادات[15]، فهذه المختصرات هي من الإملاءات التي كان يمليها ابن باديس رحمه الله على طلبته والغرض منها هو تقريب هذه العلوم الشرعية الجوهرية والأساسية من الطلاب كي يكونوا على بصيرة من أمر دينهم ودنياهم.

ومن الصنف الثاني نلفي كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث[16] الذي يقع في ثلاث مجلدات، من تأليف الشيخ مبارك الميلي رحمه الله، والغرض من هذا الكتاب هو تنوير الشعب الجزائري بتاريخه المجيد، ذاك التاريخ الذي ساده البطولات والمقاومات الشرسة لكل عدو أو غاز، فالهدف منه تعليمي وتنويري وتربوي أيضا لأنه إعادة بعث لما غيبه الاستعمار أو زوّره بما يتماشى مع مخططاته، لأجل هذا ألف الشيخ الميلي كتابه هذا لإحياء ماضي الجزائر وترسيخه في نفوس الشباب خاصة أولئك الذين ولدوا في حقبة الاستعمار وتلقوا تعليما فرنسيا إيديولوجيا.وكذلك صنع محمد علي دبّوز رحمه الله تعالى لما ألف كتابه تاريخ المغرب الكبير[17] الذي يقع هو الآخر في ثلاثة أجزاء كبيرة، فالغرض كان واحدا والمنطلق كان واحدا أيضا مثلما تقدّم.

وهذا توفيق المدني الذي يعدّ من المؤسسين الأوائل لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمعية الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نلفيه يركز على الكتابة التاريخية لأهميتها في تنوير عقول الجزائريين وتعريفهم بأصولهم وجذورهم التاريخية العربية الإسلامية، لأن المعركة التي خاضها المستعمر ضدّ هذه الأمّة هي معركة لم يستثن فيها أيّ مقوّم من مقوّمات الشخصية الجزائرية التي سعى جاهدا لطمسها، فكانت كتابات توفيق المدني في المجال التاريخي بمثابة الحصن الذي يحمي تلك الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية؛ فألف "سنة 1925م " تقويم المنصور " في شكل حولية تحتوي على فصول عدّة يراد منها بعث الضمائر ولفت الانتباه إلى ما تزخر به الجزائر،... إلى جانب بحوث عن جغرافيتها والمراحل الكبرى للحضارة العربية الإسلامية دون أن ينسى التأكيد على مبادئه الثلاثة: الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا. "[18] وفي سنة 1931م نشر كتابه الذي اختار له عنوان " الجزائر " وكان الغرض منه هو تخليد أمجاد هذا الوطن وبيان تجذّره

التاريخي وقدمه[19] لبعث روح الكفاح والمقاومة ضدّ العدو الفرنسي؛ ثم نشر في سنة 1956م كتابه " هذه الجزائر "[20] وهو كتاب تعريفي بالجزائر تاريخا وجغرافية وحضارة وثقافة ونضالا، وكتابه الأكثر شهرة وهو " حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا "[21]، إذ يعدّ هذا الكتاب من أهم المصادر والمراجع في الحرب التي كانت بين الجزائر والاحتلال الإسباني لها الذي امتدّ من سنة 1492م إلى سنة 1792م . ناهيك عن أعمال تاريخية وأدبية أخرى كلها ترمي إلى تحقيق هدف واحد هو إعادة بعث روح المقاومة في لإنسان الجزائري لكسر كل أنواع القيود التي فرضها عليه العدو الفرنسي، وهذا أسلوب توعوي وتعليمي وتربوي يمكّن من تكوين جيل مناضل ومثقف ومتعلم يعي معنى أن يكون بلده مسلوبا منه.

علاوة على ذلك كله، لم يقتصر العمل التربوي والتعليم الذي أخذته الجمعية على عاتقها على تقديم الدروس في المساجد والكتاتيب عبر مختلف مناطق القطر الجزائري، بل اتسعت هذه الحركة لتشمل الجانب الإعلامي والدّعاية، وكذلك إلقاء المحاضرات في اللقاءات والندوات العلمية والمؤتمرات الدّولية، واغتنام فرصة المناسبات الدّينية والوطنية، وكذلك الاستعانة بالمسرح لتوعية الشعب الجزائري وتربيته على الأصول الإسلامية والعربية، دينا وشريعة وعقيدة ومنهاجا، ولغة وتاريخا وعادات وتقاليد، مع بيان خطر الاستعمار على الشخصية الوطنية الجزائرية، ودرجة حقده على هذه الأمّة الإسلامية العريقة.

والحق أن ما قام به علماء الجمعية من تضحيات وجهاد، وصبر وجلد ليس له نظير في العصر الحديث، وخير دليل على ذلك هو حجم المتاعب والمضايقات، والإرهاب والتعسف، والنفي والتهجير الذي كان يتلقاه أبناء هذه الأمة الجزائرية العظيمة عموما، وأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خصوصا.

4. خاتمة:

نتيجة لما سبق كانت مساعي وجهود علماء الجمعية موزّعة على ميادين شتى، تلك الميادين التي تم إزاحتها وتعتيمها من قبل العدوّ الفرنسي عن قصد وتعمّد. وعليه فإن ورقة بحثية موجزة لا يمكن أن تفي الجمعية حقها لأن أعمالهم التربوية والتعليمية والتوعوية لا حصر لها، إلا أننا على الرغم من ذلك يجوز لنا أن نعدّد المجالات التي أصلحتها الجمعية وأعادت بعثها من جديد، وهي إصلاح المجتمع اقتصاديا وسياسيا وفكريا وثقافيا وتربويا وتعليما وتوعية وتاريخا، فاستثمر رجالات جمعية العلماء المسلمين في الإنسان الجزائري خاصة، واستطاعوا تخريج جيل مسلم متمسك بعقيدته ولغته وتاريخه ووطنه، وهذا ما كانت تسعى إليه الجمعية ابتداء، لأن إنسانا بهذا الوصف وبذاك التكوين والتعليم يكون كفيلا بأن يثور في وجه أي غاز أو معتد على وطنه أو هويته. وهذا الذي تحقق يوم الفتح من نوفمبر من عام 1954م حين تم الإعلان عن ميلاد المواطن الجزائري الحقيقي الذي حاول العدو قتله أو نفيه أو حبسه؛ وما كان له ذلك لو لم يكن التعليم والتربية التي أحاط بها علماء الجمعية بأبناء هذا الشعب.

5- الهوامش:

[1] ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، دار صادر، الجزائر، ط2009/6، ج1،ص 36-38.

[2] ينظر: أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د ط) 1995،ص 79.

3 أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1997/1،ج5،ص140.

4 ينظر: عبد الرحمن شيبان، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر،(دط) 2008، ص53.

5 أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج5، ص146.

6 أحمد توفيق المدني، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، عالم المعرفة، الجزائر، ط2010/1، ص11.

7 /ar.m- wikipedia.orgالموقع الالكتروني: 28-03-2023/10:49

[8] أحمد توفيق المدني، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، ص27.

[9] المرجع نفسه، ص28-29

10 ينظر : المرجع السابق، ص29.

11 ينظر: المرجع السابق، ص30.

12 ينظر: المرجع السابق،ص65.

13 ينظر: عبد الحميد بن باديس، نثر الدر في التعليق على المصطلحات الحديثية، ضمن كتاب مجموعة رسائل جزائرية في علوم الحديث، تح: بشير ضيف،دار لبنان،ط2012/1، ص190.

14 عبد الحميد بن باديس، مبادئ أصول الفقه، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.ط1988/2.

15 عبد الحميد بن باديس، أصول الفقه آيات وأحاديث الأحكام، تحقيق محمد الحسن فضلاء ،قسنطينة 1985 .

16 محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي الجزائر.ط 2021.

17 محمد علي دبّوز، تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة .الجزائر ط1/ 2013.

18 توفيق المدني، محاضرات في اللغة ولفكر والتاريخ، ص14.

19 المرجع نفسه ، ص 15.

20 توفيق المدني ، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية .ط 1956.

21 توفيق المدني، حرب ثلاثمائة بين الجزائر و إسبانيا، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر(د.ط).

)

6. قائمة المراجع:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، دار صادر، الجزائر، ط2009/6.
- أحمد توفيق المدني، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، عالم المعرفة، الجزائر، ط2010/1.
- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1997/1.
- أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د ط) 1995.
- توفيق المدني ، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية .ط 1956.
- توفيق المدني، حرب ثلاثمائة بين الجزائر و إسبانيا، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر(د.ط).
- عبد الحميد بن باديس، نثر الدر في التعليق على المصطلحات الحديثية، ضمن كتاب مجموعة رسائل جزائرية في علوم الحديث، تح: بشير ضيف،دار لبنان،ط2012/1.
- عبد الرحمن شيبان، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر،(دط) 2008.
- محمد علي دبّوز، تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة .الجزائر ط1/ 2013.
- محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي الجزائر.ط 2021.

الموقع الالكتروني: 10:49/2023-03-28 /ar.m- wikipedia.org